

أوراق من الملف العربي
مستقبل الصراع
العربي الإسرائيلي
عام ٢٠٠٠

الطبعة الأولى
القاهرة - ١٩٨٦
جميع الحقوق محفوظة



القاهرة: ش.م.ش. ليب - رقم ٤٢/٢٥
مدينة نصر - المنطقة الشامية

الورقة الأولى

التفسير البرزوي للصراع العربي الإسرائيلي

- ورقة من الملف العربي المعاصر ، طرحت للنقاش أمام كل من :
 - ١ - ندوة « البترول وقضايا العرب » التي نظمتها دار الفن ببيروت في ديسمبر - كانون أول ١٩٧٤ .
 - ٢ - المؤتمر الدولي للعلوم السياسية والاجتماعية الذي انعقد بالمكسيك في أغسطس - آب ١٩٧٧ .

- ١ -

لم تكن الحرب الرابعة ، في الصراع العربى الإسرائيلى ، خلال أكتوبر ١٩٧٣ ، هى المرة الاولى التى تشابكت وتفاعلت فيها القضية الفلسطينية بقضية البترول ، حيث تجسد كل منها - إقليمياً وعالمياً - فى مواجهة الآخر ، كأنها وجهان لعملة واحدة .

ربما كان التشابك والتفاعل - خلال أكتوبر ١٩٧٣ - من العمق والانتساع والوضوح ، على نحو لم يسبق له مثيل . وذلك منذ شرعت القضية الفلسطينية فى صدامها مع الامبريالية والصهيونية تحتل موقع الازمة المتصاعدة بالخطر والتفجر على خريطة الشرق الاوسط عامة ، وخريطة الوطن العربى خاصة .

- ٢ -

غير أنه من المقطوع به أن قضية البترول وصراعاتها سابقة فى التاريخ ، على قضية فلسطين وصراعاتها .

إذا كانت فلسطين ، قد أصبحت قضية ذات طبيعة خاصة ومتفردة ، منذ مؤتمر « بال » الصهيونى الذى انعقد عام ١٨٩٧ بزعامة هرتزل .. فإن البترول ، بدأ يتبلور كقضية ذات وزن متنام فى حركة الامبريالية العالمية ، منذ انبثاق « الذهب الاسود » لأول مرة فى امريكا من جوف البئر الذى حفره الكلونيل ادوين دريك عام ١٨٥٩ بولاية بنسلفانيا .

يبد أن هذا التفاوت في تاريخ ميلاد القضيتين ، لا يجب ان يحجب عن ادراكنا - اليوم - ثلاث حقائق اساسية :

الحقيقة الأولى :

إن المسافة بين تاريخ القضيتين تظل واقعة بكاملها في إطار عصر السيطرة الكاملة للامبريالية والاستعمار القديم على العالم كله . بما في ذلك فلسطين التي كانت وقت ذاك في قبضة الاستعمار العثماني « رجل أوروبا المريض » .

الحقيقة الثانية :

إن صناعة البترول بحكم نوعيتها الاستراتيجية وترابط عملياتها من تنقيب وحفر وإنتاج ونقل وتكرير وتسويق ، اتجهت منذ الوهلة الأولى - في ظل قوانين الرأسمالية - الى اكتساب الطبيعة الاحتكارية . وهي اليوم ، تمثل أقوى ما عرفه العالم من الاحتكارات وأشدها تركيزاً على الإطلاق . وليس أدل على ذلك من أنه على الرغم من زيادة عدد ما يسمى بالشركات الوطنية والمستقلة العاملة اليوم في حقول البترول ، فإن السيطرة على عالم البترول ما برحت في يد الاحتكار العالمي المؤلف من الشركات الثماني التقليدية العملاقة :

● اسو ستاندرد

● الجلف

● تكساكو

● ستاندرد كاليفورنيا

● موبيل

● البترول البريطانية

● شل الهولندية البريطانية

● البترول الفرنسية

وغنى عن البيان ان للولايات المتحدة الأمريكية حصة الأسد في هذا

الاحتكار العالمى .

الحقيقة الثالثة

إنه حتى شروق القرن العشرين ، لم يكن قد عرف أو اكتشف شئ من الثروات البترولية الكامنة فى جوف الشرق الأوسط عامة والأرض العربية التى تنتهى إليها فلسطين خاصة .

وجاء أول اكتشاف للبترول بالمنطقة عام ١٩٠٨ ، فى مسجد سليمان بإيران وفى جصّة بمصر فى نفس العام .

- ٣ -

لو جاز لنا أن نستعير لغة السينما وحاولنا بطريقة « الفلاش باك » العودة الى رؤية الاحداث التاريخية بما تموج به من صراعات اقتصادية وسياسية واجتماعية . واستخدمنا « كاميرا وعينا الراهن » فى الربط الجدلى بين الأحداث . فإنه من الممكن أن يكتمل تحت أعيننا سيناريو لحركات الأحداث . فلسطينياً وبترولياً ، على وضع يكشف أماننا صور غريبة كما لو كانت من صنع خيال سورىالى يفوق خيال سلفادور دالى . ولكنها فى النهاية صور واقعية الى أبعد حدود الواقعية . إن مبدأ « الحقيقة أغرب من الخيال » لا يقتصر فقط على عالم الفن والأدب وإنما يحكم أحياناً عالم الصراع الاقتصادى - السياسى - الاجتماعى . كيف ؟

لنبدأ بالصورة الأولى :

فى عام ١٨٧٠ يقوم كل من الأخوين جون ووليم دافيسون وروكفلر بتأسيس شركة ستاندرد أويل للبترول فى الولايات المتحدة الأمريكية برأسمال قدره مليون دولار . يرتفع الى ٣,٥ مليون دولار عام ١٨٧٤ . وبفعل قانون الاحتكار الرأسمالى تتوحد الشركة مع عدد من شركات النقل الكبرى التى

يسيطر عليها عدد من الرأسماليين اليهود ، ويرتفع رأسمال الاحتكار الى ٧٠ مليون دولار عام ١٨٨٢ ، ثم الى مائة مليون في مطلع القرن العشرين ، بعد أن يكون الاحتكار قد سيطر على ٩٠ بالمائة من صناعة البترول في أمريكا وحقق ما بين عامى ١٩٠٠ الى ١٩٠٧ أرباحاً صافية بلغت ٣٦٧ مليون دولار .

وحركت رائحة البترول الذى كان قد اكتشف في رومانيا وروسيا القصيرية المتخلفة ، وجزر الهند الصينية ، شبهة الرأسمالية الأوروبية ، وكانت ما برحت في أوج عنفوانها الامبريالى . فأقدمت في عام ١٨٩٠ على تأسيس شركة رويال دوتش برأسمال قدره ١,٣٠٠,٠٠٠ فلورين ، وتدخل الشركة الأوروبية في صراع حاد مع ستاندرد أويل ومجموعة روكفلر القوية ، وتكاد تنهاوى ، لولا أن يبادر الى دعمها ومساندتها رأس المال الأوروبى بزعامة آل روتشيلد من اليهود وشركة شل للنقل التى يمتلكها الرأسمالى اليهودى ماركوس صموئيل . وتصد الرويال دوتش وتتفرع عنها شركتا البترول البريطانية وبتافيا . وهكذا ينقسم السوق العالمى للبترول لأول مرة ، بين أقوى مجموعتين مالتين في العالم : آل روكفلر وآل روتشيلد .

ولكن عين الكاميرا لا تتوقف عند هذه الحدود . فن خلال الأضواء والظلال نلمح في ذات الصورة ميلاد حركة الصهيونية . وتلمع الأضواء فوق عدد من المؤتمرات الصهيونية ، وإذا بالنجوم الساطعة في هذه المؤتمرات هى نفس الوجوه الرأسمالية اليهودية من آل روتشيلد وصموئيل وغيرهم الذين تفوح منهم رائحة البترول . ومن خلال أرباحهم الاسطورية ، يولون الحركة الصهيونية ومشروعاتها لبناء وطن قومى لليهود ، بديلاً عن الاندماج في شعوب البلاد التى نشأوا فيها .

- ٥ -

وتفاجئنا الصورة الثانية في مطلع القرن العشرين . ذئاب البترول الاحتكارية انطلقت في أرجاء الأرض تبحث عن آبار جديدة .

ومنذ عام ١٩٠٤ بدا واضحاً في جوف الشرق الأوسط كنزاً مخبأ .

وبالفعل اكتشفت أول آبار بترولية في إيران ومصر عام ١٩٠٨ .

وخلال نفس الفترة الزمنية من ١٩٠٤ - ١٩٠٨ ، كان آل روتشيلد وغيرهم من ذئاب الصهيونية قد نشطوا منذ أواخر عام ١٩٠٣ في شراء أراضي العرب في فلسطين ، بعد الحصول على موافقة سلطان تركيا ، وتسليمها الى رواد الهجرة الصهيونية من اليهود الفنين الزراعيين . وفي عام ١٩٠٦ تأسس أول « كيبوتز » في فلسطين من المهاجرين اليهود من روسيا القيصرية . وفي عام ١٩٠٨ تأسست الوكالة اليهودية في يافا لتنشيط عملية الاستيطان ، تبعها بناء مدينة تل أبيب عام ١٩٠٩ وكان الكم الغالب من المال المستخدم في هذا كله يقطر زيتاً وبترولاً .

- ٦ -

وتتابع الصور ، راصدة المواقبة التاريخية بين الصراع البترولي والصراع الفلسطيني الصهيوني ..

ومنذ بداية العقد الثاني من القرن العشرين ، بدأت الحركة الوطنية العربية تصطدم بالاستعمار العثماني الذي كان على وشك أن يلفظ أنفاسه ، والصراع ينشب بين القوى الاستعمارية التقليدية ، في أوروبا على وراثة مستعمراته الخاصة في الشرق الأوسط . والاحتكارات البترولية قد أمتلأت خياشيمها برائحة البترول المنبعثة من الأرض العربية وخاصة العراق . والحركة الصهيونية ، بدعم من الاستعمار البريطاني ، تشدد من غزوها وتسربها الى فلسطين وتزرع مؤسساتها هنا وهناك . وعرب فلسطين يتصدون لها وللإستعمار البريطاني معاً ، من خلال حركات جماهيرية عفوية ومنظمة .

وتندلع نيران الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ، وفي مايو ١٩١٦ توقع الاتفاقية الفرنسية البريطانية « سايكس بيكو » لتقسيم الشرق الأوسط . يتبعها في ٢ نوفمبر ١٩١٧ صدور وعد بلفور البريطاني الى لورد روتشيلد بوصفه ممثل اللجنة الرئاسية التابعة للمنظمة الصهيونية الذي يتضمن تعهد بريطانيا بتأييد الحركة الصهيونية في بناء وطن قومي لليهود بفلسطين . وفي